(( رمضان وفرصتنا ))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب : https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3\_Hje4JaCw

الأولى

من أين أبدأ ؟ وكيف أبدأ ؟

هل أبدأ بالحديث عن العبد المذنب، الفقير، الخطّاء ؟

هل أبدأ بالحديث عن العبد الذي خلق من التراب والطين وال ماء مهين ؟

العبد الذي عدى، ثم اعتدى، ثم اقترف .

العبد الذي ظلم نفسه، وعصى ربه وغوى .

العبد الذي سقط في أوحال الغفلة والشهوات، وزلت به القدم في المحرمات.

أم أتحدّث عن الرحيم الرحمن ، التواب الوهاب ، الكريم الجواد ؟

أم أتحدّث عمن لبس المجد وتكرم به، وتعطف العزّ وقال به؟

أم أتحدّث عن ربّ واسع المغفرة ، باسط اليدين بالرحمة، سبقت رحمته غضبه ، وسبق عفوه عقوبته ، جواد كريم ، محسن ودود ، يطاع فيشكر ، ويعصى فيغفر .

يقابل الإساءة بالإحسان ، والذنب بالغفران ، ويقبل التوبة ، ويغسل الحوبة .

هو الله التواب .. هو الرحمن الرحيم .. هو الغفور الودود ..

ما أوسع رحمته.. ما أحسن مغفرته.. ما أعظم ستره وحلمه..

هو أرحم بالعبد من الأم بولدها .

هو ثقتنا حين تنقطع الحيل .

هو رجاؤنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا .

الرغبات به موصولة ، والآمال عليه مقصورة .

والأيدي إليه مبسوطة ، والهمم إلى طلب مرضاته مرفوعة .

من الذي عامله فلم يربح ؟

من الذي التجئ إليه فلم يفرح ؟

لو أراد إهانتنا لم يهدنا ، ولو أراد فضيحتنا لم يسترنا .

كُلُّ يَومٍ يَأتي بِرِزقٍ جَديد مِن مَليكٍ لَنا غَنِيٍّ حَميد

قاهِرٍ قادِرٍ قَوِيٍّ لَطيفٍ ظاهِرٍ باطِنٍ قَريبٍ بَعيد

حَجَبَتهُ الغُيوبُ عَن كُلِّ عَينٍ وَهوَ فيها أَنسُ لكُلِّ وَحيد

حَسبُنا اللَهُ رَبُّنا هُوَ مَولًى خَيرُ مَولًى وَنَحنُ شَرُّ عَبيد

أحقاً مدّ الله في أعمارنا ، وبلغنا شهر رمضان ؟

الله أكبر .. الحمدلله .. قولوها يا معاشر الصائمين قولوها بقلوب شاكرة صادقة عازمة على تجديد العهد مع الله.

الحمدلله الذي مدّ في أعمارنا ونسأ في آجالنا وألبسنا لباس الصحة والعافية .

الحمدلله البر بعباده ، العاطف عليهم بفضله وعطائه .

الحمدلله على بلوغ الشهر ..

تالله لقد تخطفت سهام المنايا أقوام لم يكن بينهم وبين رمضان سوى لحظات ، ولكن سبق عليهم الكتاب ، وطويت الصفحات ، وغادروا الحياة وأصبحوا في عالم الأموات .

وها نحن يا معاشر الصائمين قد من الله علينا وبلغنا شهر رمضان ، مع صحة في الأبدان ، وأمن في الأوطان ، ومجاورة للبيت الحرام ، فماذا نحن صانعون ؟

تالله وبالله وبالأقسام كلّها لقد أدركنا شهراً عظيماً ، وموسماً من مواسم الخيرات كبيرا ، أدركنا شهراً يقول فيه رسول الله : «مَا أَتَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ شَهْرٌ خَيْرٌ لَهُمْ مِنْ رَمَضَانَ، وَلَا أَتَى عَلَى الْمُنَافِقِينَ شَهْرٌ شَرٌّ لَهُمْ مِنْ رَمَضَانَ، وَذَلِكَ لِمَا يُعِدُّ الْمُؤْمِنُونَ فِيهِ مِنَ الْقُوَّةِ لِلْعِبَادَةِ، وَمَا يُعِدُّ فِيهِ الْمُنَافِقُونَ مِنْ غَفَلَاتِ النَّاسِ وَعَوْرَاتِهِمْ، هُوَ غنْمٌ الْمُؤْمِنُ يَغْتَنِمُهُ الْفَاجِرُ» .

رواه أحمد وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح.

أدركنا شهراً يقول فيه رسول الله : « كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمِائَة ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي » « لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ » «وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ» رواه مسلم .

أدركنا شهراً يقول فيه رسول الله : « إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلكَ كُلُّ لَيْلَةٍ » رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في المشكاة (1960) .

أدركنا شهراً يقول فيه رسول الله : «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» متفق عليه .

يا عبدالله .. يا ساكن حرم الله .. يا جار بيت الله العتيق ..

لقد أدركت رمضان آمنا في أهلك ، معافا في جسدك ، عندك قوت يومك ، فبادر ، وثابر ، وجاهد نفسك على اغتنام هذا الموسم العظيم .

يقول طلحةُ ابنُ عُبَيْدِ اللَّهِ : قدم رجلان على النبي قد أسلما جَمِيعًا، وَكَانَ أَحَدُهُمَا أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْ صَاحِبِهِ في الطاعة والعبادة، فَغَزَا الْمُجْتَهِدُ وألقى في نفسه في ساحات الجهاد وأدركته سهام المنايا فقتل شهيدا في سبيل الله ، ثُمَّ مَكَثَ الْآخَرُ بَعْدَهُ سَنَةً ثُمَّ تُوُفِّيَ، قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنِّي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِهِمَا وَقَدْ خَرَجَ خَارِجٌ مِنَ الجَنَّةِ، فَأَذِنَ لِلَّذِي تُوُفِّيَ الْآخِرَ مِنْهُمَا، ثُمَّ خَرَجَ فَأَذِنَ لِلَّذِي اسْتُشْهِدَ أن يدخل بعده الجنة ، فعجب طَلْحَةُ وعجب النَّاس من خبره وطار الخبر إلى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ: «مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا كَانَ أَشَدَّ اجْتِهَادًا ثُمَّ اسْتُشْهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدَخَلَ هَذَا الْجَنَّةَ قَبْلَهُ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً؟» قَالُوا: بَلَى. قال: «وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ فَصَامَهُ؟» قَالُوا: بَلَى قال: «وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا سَجْدَةً فِي السَّنَةِ؟» قَالُوا : بَلَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «فَلَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» رواه أحمد وصححه الألباني في الترغيب والترهيب .

ألم أقل لك : إنّك ادركت شهرا من فرّط فيها فقد استحقّ دعاء رسول الوحي في السماء وتأمين رسول الوحي في الأرض.

قفد صَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَقَالَ: «آمِينَ آمِينَ آمِينَ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ حِينَ صَعِدْتَ الْمِنْبَرَ قُلْتَ: آمِينَ آمِينَ آمِينَ، قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي، فَقَالَ: مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ » رواه ابن حبان وصححه الألباني من حديث أبي هريرة .

وربّ الكعبة إنّ إدراك رمضان عطيّة ومنحة لا يعرف قدرها إلاّ من استدبر الدنيا وعاين الآخرة وأصبح رهين قبره قد انتهى أجله وانقطع عمله؛ وحيل بينه وبين ما يشتهيه، فرمضان شهر اختاره الله وصبّ الخير فيه صبّاً .

فهذه غنيمتنا يا عباد الله، هذه فرصتنا للتزوّد للموت وسكرته، وللقبر وظلمته، وللحشر وشدّته، وللصّراط وزلّته ؛ فقلوبنا ركنت إلى الدنيا وتحصيل المال ، وفتنة الزوجة والعيال والعقار .

قلوبنا أهلكتها عداوة الغلّ، والحقد، والشحناء الراكدة المتغلغلة، ناهيكم عن أمراض القلوب التي صنعها البي بي والوات ساب والفيس بوك وتويتر فمرضت القلوب بالشهوات مرضاً لا يكشفه إلا الله ، ونحن يا معاشر الكرام في ميدان سباق ، ورمضان يفوت ولا يفوّت ، فهيابنا نحسّس قلوبنا بفضائل هذا الشهر وسرّ عظمته.

هيا بنا لنذوق طعم الفرح الحقيقي بنعمة بلوغ هذا الشهر ولذّة التنعم بعبادته ، هيا بنا نقف هنيهة مع أنفسنا لنأطرها على الحقّ ، والطاعة أطرا ونزجرها عن المعصية زجرا.

يا كرام .. أحد عشر شهرًا، والنفس تجري لمستقر لها، أحد عشر شهرًا والوحشة قد أصابت من النفس ما أصابت..

إحدى عشر شهراً قضيناها في جهاد العيش، وصراع المادّة ، وكبد الحياة ، تكدّر فيها القلب ، وتبلّد الحس ، وتلوّث الضمير ، وسهلت على نفوسنا المعصية ، وهانت علينا الخطيئة ، فنسينا كثيراً ، وسبحنا في الدنيا سبحاً طويلاً .

إحدى عشر شهراً هوت بنا في واد سحيق من الظلمات ، والشهوات ، والشبهات ، وضياع الحقوق ، والتمادي في العقوق .

وها نحن قد وضعنا أقدامنا على أعتاب رمضان ، وبلّغنا الله الشهر الذي يملأ النفوس خيرا، ويدفعها إلى البر دفعا.

أدركنا رمضان الذي يقول فيه المنادي : يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر ، وشد عزمك، وجدد أملك، وأصلح شأنك، وعد لربك.

عبدالله .. إنه شهر واحد ..

شهر واحد يمحو عذابات وآلام السنين ..

شهر واحد يذهب بأوزار كأمثال الجبال ..

ﭽ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣﮤ ﭼ البقرة: ١٨٥

شهر واحد يغفر ذنوب العمر كلها، فالذنوب أثقلتنا يا عباد الله، الذنوب حرمتنا وأهلكتنا..

شهر واحد يا أخي يغسلك من ذنوب طالما تألمت لفعلها ..

الفضيل ابن عياض أصبح عابد الحرمين بعد أن كان لصاً قاطع الطريق ، للحظة جادّة غيّر بها مسار حياته.

أخي لقد جاء رمضان ليساهم في تغيير مسار حياتنا .

جاء رمضان ليقول لكلّ واحدٍ منّا : " ذق أثر الجوع لتتلذّذ بالخشوع "

جاء رمضان ليضعف الشّهوة ، ويربّي القلب، ويزكّي النّفس .

جاء رمضان ليقول لكل ظالم لنفسه ، وغافل عن ربه :

كفى ما كان ... فقد طال زمن العصيان.

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ النساء: ٢٧

فهيا بنا ، فرمضان فرصتنا وربّ الكعبة ، فرصتنا للنّجاح في حياتنا .

رمضان فرصتنا للإقبال على القرآن تلاوة ، وتدبراً ، وسماعاً .

رمضان فرصتنا لخلوة تفيض فيها الدمعات ، وتنسكب العبرات ، وتلهج الألسن بالذكر والمناجاة .

رمضان فرصتنا لجمع القلوب على موائد الحبّ ، والصفح ، والعفو .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم ....

الثانية

ما الذي يرجوه العبد من ربه في رمضانَ؟

لو سألنا أنفسنا هذا السؤال لوجدنا سلسلةً طويلةً من الأمنياتِ والآمال .

ولكننا نتفق جميعا على سؤال الله تعالى سؤالاً واحداً ، هو غايتنا ، ورجاؤنا في كرم ربنا .

رجاؤنا جميعا .. أن يعتقنا الله ؛ يعتقنا من أسرِ الشيطانِ ..

يعتقنا من قيدِ المعصيةِ ، يعتقنا من هوى متبع ، ونفس أمّارة ، وكيد الشيطان ، وفتنة الدنيا ، وتقنية دمّرتنا ، وشهوات غلبتنا وقهرتنا .

إن رجاؤنا في كرم ربنا أن يعتقنا من أمراض ظاهرة وباطنة حالت بيننا وبين ربنا .

إن رجاؤنا في كرم وجود ربنا أن يعتقنا من النار .

نطلب من الله الكريم ، الرحيم العتق من النّار في رمضان ، والفوز بالجنان .

والسؤال الضخم ماذا يطلب رمضان منّا ؟

نعم عبد الله ،، ماذا يريد رمضان منّا ؟

رمضان يريد منّا أن نعظم شعائر الله ..

رمضان يريد منّا أن نراقب الله في السر والعلن ..

رمضان يريد منّا أن نعلم جميعاً أن قرار التغيير والإصلاح لأنفسنا وأسقامنا هو بأيدينا نحن

فنحن أصحاب القرار ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖﯗ ﭼ الرعد: ١١

فنحن أصحاب القرار في تغيير أنفسنا ، فالحياة في رمضان مع القرآن تتغيّر ، قلوبنا تتغيّر ، حفاظنا على الصلاة يتغيّر ، قيامنا في الليل يتغيّر ، أرواحنا تتغيّر ، أخلاقنا تتغيّر ، نفوسنا نحو العفو الصفح تتغيّر ، حديثنا مع بعضنا يتغيّر الحياة كلّها تتغيّر .

فرمضان شهر يعلم القلب كيف يخشع ويخضع ؟

كيف ينكسر ويرق ؟

رمضان شهر يعلم العين كيف تدمع من خشية الله ؟

رمضان شهر يعلم المذنب كيف يتوب ويعود ؟

رمضان شهر يعلّم الروح كيف تحلّق في سماء الروح والمناجاة؟

دعِ العبدَ يا عبدُ وارفع يديك ودقَّ السماءَ وقل يا ودود

إلهنا ببابك أنخنا ، ولمعروفك تعرضنا ، وبكرمك تعلقنا ، وبتقصيرنا اعترفنا ، وأنت أكرم مسؤول .

إلهنا ارحم عباداً غرّهم طول إمهالك ، وأطمعهم دوام إفضالك.

إلهنا ما أمرتنا بالاستغفار إلاّ وأنت تريد المغفرة .

إلهنا إن ذنوبنا صغيرة في جنب عفوك ، وإن كانت كبيرة في جنب نهيك .

يا من يقبل من تاب ، ويعفو عمن أناب .

إلهنا لا تحرمنا بذنوبنا ، ولا تطردنا بعيوبنا .

اللهم اغفر ذنوبنا كلها ، دقها وجلّها ، أولها وآخرها ، سرها وجهرها .

اللهم تَقَبَّلْ تَوْبَتنا، وَاغْسِلْ حَوْبَتنا، وَأَجِبْ دَعْوَتنا، وَثَبِّتْ حُجَّتنا، وَسَدِّدْ ألسنتنا، وَاهْدِ قلوبنا، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صدورنا.